

# أزهار الرياض في أخبار عياض

وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

(٩٨٦ - ١٠٤١ هـ)

طبعة مزيدة ومنقحة

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الأول

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى  
1431هـ-2010  
حقوق الطبع محفوظة للناسر  
الناشر  
مكتبة الثقافة الدينية  
526 شارع بورسعيد - القاهرة  
25936277 / 25938411-25922620 / فاكس:  
E-mail: alsakafa\_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة  
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشئون الفنية

المقرى، احمد بن محمد احمد بن يحيى ، 1631-1584  
ازهار الرياض فى اخبار عياض  
تأليف : شهاب الدين احمد بن محمد المقرى التلمسانى ، تحقيق: على عمر  
ط1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2010  
1مج ، سم  
تدمك : 5-495-341-977-978  
1- المحدثون المغاربة  
2- القاضى عياض ، عياض بن موسى بن عياض  
ا- عمر، على ( محقق )  
ب- العنوان

ديوى: 922.13

رقم الابداع: 16751

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

obeikandi.com

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

### مقدمة التحقيق

#### المؤلف وكتابه:

المؤلف: هو أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس المقرئ التلمساني، المؤرخ الأديب الحافظ، صاحب نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ولد سنة ٩٨٦هـ ونشأ في تلمسان بالمغرب، وانتقل إلى فاس ومنها إلى القاهرة، وتنقل في الديار المصرية والشامية والحجازية، وتوفي بمصر سنة ١٠٤١هـ ودفن في مقبرة المجاورين.

وقيل: توفي بالشام مسموماً.

والمقرئ: نسبة إلى مقرّة - بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة - من قرى تلمسان.

له عدا نفع الطيب، كتب جلييلة منها: إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، وروضة الأانس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس، وعرف النشق في أخبار دمشق، وله شعر حسن ومزدوجات رقيقة وأخبار ومطارحات كثيرة مع أدباء عصره.

ويعتبر المقرئ من أبرز وجوه المغرب الفكرية في عصره، وقد تجلّى ذلك في كتاباته التي أسهم بها في فنون عدة.

وكتابه أزهار الرياض الذي نقدم له اليوم فوق اشماله على ترجمة القاضي عياض يمتاز بطائفة كبيرة من الأخبار والنصوص المغربية والأندلسية،

التي لم ترد في نفتح الطيب ولا في غيره من الكتب المطبوعة حتى الآن، كما نقل عن كتب أخرى بعضها مفقود والآخر ما زال في دور الكتب مخطوطاً. ولذلك يعد نشره ثروة جديدة تضاف إلى ما سبق نشره من آثار المغرب والأندلس في عالم الدراسات العربية.

هذا وحينما شرعت في تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى ما تيسر لي من نسخه المطبوعة والمخطوطة. ولم أشر إلى النقص في بعض النسخ والزيادة في البعض الآخر، أو الخطأ في بعضها والصواب في البعض الآخر، متخذاً النسخ كلها أصلاً يكمل بعضها بعضاً ويصوب بعضها بعضاً، وأشرت فقط إلى ما يضاف إلى متن الكتاب من كتب أخرى أو من عندي للتوضيح في المواطن التي تقتضى التوضيح.

وأرجو أن أكون عند حسن الظن، وأن يكون جهدى موضع القبول.

والله ولي التوفيق.

القاهرة في ربيع الآخر سنة ١٤٣١ هـ

شهر إبريل ٢٠١٠ م

د. علي عمر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

### مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى أعلى مراتب العلماء الأعلام، وزكى منهم العقول  
الراجحة والأحلام، ومنحهم مآثر تقصر عن جمعها المحابر والأقلام؛  
ومفاحرات طارت كل مطار. وجعل معاليهم زاهرة زاهية، وأضواء فهمهم  
نامية سامية، وأنواء علومهم هامة هامية، بواكب الأمطار، وأطلعهم على  
دقائق الأسرار. وهداهم وهدى بهم إلى ترتيب المدارك، وتقريب المسالك؛  
وجلى بمشارك الأنوار من معارفهم وآدابهم، عمن تمسك بأذيالهم وأهدابهم،  
غياهب الجهل الحوالك؛ فأضاءت الأقطار. وعرفهم المقاصد الحسان،  
والوسائل المغتبطة والإلماع، بأصول الرواية والسماع؛ والإعلام بحدود قواعد  
الإسلام؛ وإرشادهم إلى التنبيهات المستنبطة السامية الأخطار؛ حتى رفلوا من  
حلل التحقيق السابغة، فى مطارف<sup>(١)</sup> وبرود؛ ووردوا من مناهل التوفيق  
السائغة، كل عذب برود؛ وتنسموا من حجج الحق البالغة، الروض المعطار؛  
واجتنوا أزاهر، أضحت منية الطالب، وبغية الرائد؛ واجتلتوا جواهر نظمت  
منها الدرر والفرائد؛ فى أجياد الأسطار. فإن أمهم ناقص عديم، ألفى لديهم  
الغنية والإكمال؛ أو قصدهم عليل سقيم، وجد فى يديهم الشفاء، فنال غاية  
الآمال، وظفر بمنتهى الأوطار. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد

(١) المطرف: رداء أو ثوب من خز مربع ذى أعلام.

أفضل العالمين بإطلاق، سراج المرادين، وكنز العارفين، الذى لا يخشى معه إملاق، عمدتنا العظمى، ووسيلتنا الكبرى عند الملك الخلاق؛ صاحب المعجزات الباهرة، التى اهتدى بها ذوو الأفكار، والآيات الظاهرة، التى حصل بها التمهيد لمن له استذكار؛ الموطأ الأكناف والأخلاق، المنتقى من أعظم الذخائر، وأنفس الأعلام، المختار من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، الذين لنجومهم فى سماء الحق ائتلاق؛ صلاة وتسليما دائمين، ما أنشئت فى ثنائه الأحمدي، وأنشئت بفنائه المحمدي، القصائد والآيات والأشطار. وبعد:

فيقول أحمد ذو القصور المقرئ إذا انتسب  
جبر المهيمن صدعه ووقاه سيئ ما اكتسب  
وحباه منحة مؤمن محض العبادة واحتسب  
وأسدى إليه من المواهب أسناها، ومن العواقب حسناها:

إنه لما سبق القضاء وجرت الأقدار، بارتحالي عن الوطن المحبوب والقرار، بعد أن شممت عراره النجدي ولا أشجان ولا أقدار، فى عشية لم يكن بعدها من عرار<sup>(١)</sup>؛ ونزحت عن بلد، به الوالد وما ولد؛ محل قطع التمام<sup>(٢)</sup>، وفتح الكمائم، سقى الله عهاده صوب الغمام:

بلد تحف به الرياض كأنه وجه جميل والرياض عذاره  
وكأنما واديه معصم غادة ومن الجسور المحكمات سواره

(١) العرّار: نبات طيب الرائحة، الواحدة: عرّارة.

(٢) التميمية ما يعلق فى العنق لدفع العين.

وكان ذلك وغصن النشاط يانع، وبرد الشباب قشيب، وشمل النفس مجتمع دون مانع، وكأس الأنس مزج بتسنيم القرب وشيب؛ وفود<sup>(١)</sup> الرأس غير خاضع ولا خانع، إذ لم تطرق ساحته ولم تجس خلاله جيوش المشيب؛ حللت الحضرة الفاسية - حاطها الله - حيث المجالس غاصة، بالعامّة والخاصة؛ والمساجد أهلة معمورة، والمشاهد بالزوار مغمورة؛ وحلّل المعارف فضفاضة، والعوارف الجليلة مفاضة، حضرة ديباجها ربيعي، وامتزاجها بالنفوس طبيعي، ولم لا، وقد نظمت المفاخر ونسقتها، وجمعت المآثر ووسقتها، جادتها غر السحب وسقتها:

بلاد بها الحصباء در وتربها      عبير وأنفاس الرياح شمول  
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق      وصح نسيم الروض وهو عليل  
فألقيت بها عصا التسيار، وقاها الله من الآفات والأغيار، واقتفيت في ذلك سنن بعض سلفى الأخيار؛ إذ كان أشهر أسلافنا الشيخ الإمام - صاحب التصانيف الشهيرة التى اقتادت المحاسن بزمام؛ القاضى الأشهر، العلامة الأظهر، أبو عبد الله محمد [بن محمد]<sup>(٢)</sup> بن أحمد المقرئ القرشى، التلمسانى النشأة والقبر، أفاض الله سجال الرحمة على مثوى ذلك الخبر - انتقل إليها أيام السلطان المرحوم أبى عنان فارس، فولاه قضاء جماعتها، وبنى له المتوكلية أعظم المدارس، حسبما ذكره غير واحد من أهل الفهارس، وأشار إليه الوزير ابن الخطيب فى كتاب «الإحاطة» التى أحييت من التاريخ الرسم الدارس.

(١) الفود: جانب الرأس مما يلي الأذن، والشعر النبات فوقه.

(٢) ما بين الحاصرتين تكملة عن الإحاطة ج٢، ص ١٩١.

ولم تزل كتب الأقارب والإخوان ترد على ، وتثنى عنان اعتنائها إلى ؛  
وتكرر وتعدد، وتنتاب وتتردد، وتتنوع وتتجدد، فأرتاح إليها ارتياح الغصن  
عند هزته، وأحن إليها حنين كثير إلى معاهد عزته :

يا من يذكرني حديث أحبتي طاب الحديث بذكرهم ويطيب  
أعد الحديث على من جنباته إنَّ الحديث عن الحبيب حبيب  
وكثير ما يحرك ذلك منى كامن شوق، شب عمره عن الطوق؛ وأجد  
من لواعج الأوار، ما وجدته الفرزدق عند مباينة النوار :

بلد الجزائر ما أمر نواها كلف الفؤاد بحبها وهوها  
يا عاذلى فى حبها كن عاذرى يكفيك منها ماؤها وهوها  
والحنين إلى الوطن مجال لكل حر ومضمار!

إيه أحاديث نعمان وساكنه إنَّ الحديث عن الأحباب أسمار  
وليس بمستنكر حنين الناب إلى عطنه، والمرء إلى محل نشأته ووطنه .  
وقد روينا فى الصحيح من حنين سيد الوجود عليه الصلاة والسلام وأصحابه  
إلى مكة، ما لا يجهله إلا من هو عن العلوم بمعزل . ومن الأبيات السائرة :

كم منزل فى الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل  
ورب ذكرى أثار الأثواق وحركتها، وأنشبت النفوس فى حبال  
البوس وتركتها؛ وكم من ماجد بكى لفقده المشاهد، واهتم لبعده المعالم  
والمعاهد :

سلام على تلك المعاهد إنها مراتع الألفى وعهد صحابى  
ويا سرحة الحى أنعمى فلطالما سكبت على ميثوك ماء شبابى  
فله تلك المعاهد، ما أبهج محياها! وحاط بعين كلاءته تلك المشاهد،  
ما أطيب رياها، حين باكرها الوسمى<sup>(١)</sup> وحياها:

حيا تلمسان الحيا فربوعها صدف وجود بدره المكنون  
ما شئت من فضل عميم إن سقى أروى ومن ليس بالممنون  
أو شئت من دين إذا قدح الهدى أورى ودينا لم تكن بالدون  
ورد النسيم لها بنشر حديقة قد أزهرت أفنانها بفنون  
وإذا حبيبة أم يحيى أنجبت فلها الشفوف على عيون العون  
طلما ذكرت الأبله وشعب بوان، وأنست صروف الزمان الخوان، وأنبتت  
أزهار أنس ذات ألوان، وثمار نخل من القرب، صنوان وغير صنوان،  
والشمل مجتمع بالجيران والإخوان؛ والروض مطلول النبات، مخضر  
العذبات، مخضل الجنبات، مفوف الخمائل، متضوع الشمائل؛ منساب الماء،  
منجاب السماء؛ والغصون متأودة الأعطاف، دانية الجنى والقطاف، والنسيم  
يعبق نشرا، والجو يتألق رونقا وبشرا؛ فتقصر عنه أوصاف ذوى الإنصاف:

والزهر حيانا بثغر باسم والنهر قابلنا بقلب صافى  
ولآلى الأنداء فى الغدير غرقى، ودموع النهر لا ترقا؛ والزهر يسقط،  
وأكف الريح تكتب، والغمام ينقط:

(١) الوسمى: مطر الربيع الأول.

كأن أكف الريح تكتب أسطرا      على النهر إلا أن أحرفها زرق  
فتحنى عليهن الغصون قدودها      لتقرأها جهرا من الورق الورق  
والورقاء تهتف لفقد إلف نازح،      فتهيج شجو الجاد والمازح:

رب ورقاء هتوف بالضحي      ذات شجو صدحت في فن  
ذكرت إلفا ودهرا صالحا      فبكت شجوا فهاجت حزني  
فبكائي ربما أرقها      وبكاهها ربما أرقني  
فإذا تبدؤني أسعدها      وإذا أبدؤها تسعدني  
ولقد تبكى فما أفهمها      ولقد أبكى فما تفهمني  
غير أني بالشجا أعرفها      وهي أيضا بالشجا تعرفني  
فأكرم بها من ذات طوق، عبرت عما في ضميرها من جوى وشوق،  
فساقت لواعج الأفكار أى سوق، وبينها وبين الصب فرق، عند ذوى الذوق:  
وترنمت ذات الجناح بسحرة      بالواديين فهيجت أشواقى  
ورقا تعلمت البكا والبث من      يعقوب والألحان من إسحاق  
أنى تضاهينى هوى وصبابة      وأسى وفرط جوى وفيض مآقى  
وأنا الذى أملى الهوى من خاطرى      وهى التى تملى من الأوراق  
فما كان أسرع من تمزيق ذلك الإهاب، وحصول شمله فى يد  
الانتهاج، وإنشاد لسان حاله عند الذهاب:

ألا إن هذا الدهر يوم وليلة      يكران من سبت عليك إلى سبت  
فقل لجديد العيش لا بد من بلى      وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

وهكذا الدنيا إحلاء وإمرار، وإقرار وإنكار، وإعلان وإسرار؛ تعفى كل ربح عامر، وتبذل كل مأمور وأمر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر  
بعدهما نعمنا برهة من الزمان في ظلال الأمان؛ وقطعنا نبذة من الشباب،  
في مواطن الأحباب؛ ما بين دراسة ودراية ورواية، وممارسة أمور تبعد عن  
طرق الغواية؛ وتجبير طروس، وملازمة دروس، ومشول بين يدي أشياخ  
مجالستهم نامية الغروس؛ وخصوصا شيخهم الذي فضله لا يفترق إلى  
دلالة، عمنا مفتيها سيدي سعيد بن أحمد المقرئ، شكر الله خلاله، فهو شيخ  
أولئك الأعلام الذين ورثوا العلم من غير كلاله، وعمرؤا ربوع المجد، وتفتئوا  
ظلاله، وأرشدوا إلى سبل الهدى، وأزاحوا عن الضلالة، وعمرت أرضهم  
بكل مجد وجلاله، وإن نبت بي عن جفوة وملاله؛ فأها على ذلك العصر ما  
أبهاه وأجمله! وأتمه وأكمله؛ عصر يكاد يكلمنا فيه الجماد، وتروينا الثماد؛  
وتحينا العشيات والبكر، ولا تتابنا التعلات ولا الفكر؛ فإن سألنا فعنه في  
الحقيقة، وإن صرحنا أو كنيينا، فنعني حماه وعقيقه:

نسائل عن ثمامات بحزوى      وبان الرمل يعلم ما عيننا  
وقد كشف الغطا فما نبالي      أصرحنا بذكرى أم كنيينا  
ولو أنى أنادى يا سليمي      لقالوا ما أردت سوى لبيني  
ألا لله طيف كان يسقى      بكاسات الكرى زورا ومينا  
فأمسينا كأنما افترقنا      وأصبحنا كأنما التقينا

وكنا نحسب أن الدهر لا يدور، وأن الأعجاز صدور، والأهلة بدور؛  
حتى ضرب الدهر ضربانه، وبدد الرفيق من ذلك الفريق وأبانه؛ فلم تتأود  
قدود الأغصان، ولم تترنح أعطاف البان؛ وانقطعت الأسباب عن مواصلة  
الجيران والأحباب؛ الذين:

جرى بعضهم ذات اليمين وبعضهم شمالاً وقلبي بينهم متوزعٌ  
فو الله ما أدري بليل وقد مضت حمولهم أي الفريقين أتبعُ؟  
وهأنا الآن أحاول إطفاء لهيب بالضلوع وقد، وأعالج أدواء سقم جل  
وكيف لا وقد:

روعت بالبين حتى ما أراعُ به وبالمصائب فى أهلى وجيرانى  
لم يترك الدهر لى علقاً أضن به إلا رماه بفقْد أو بهجرانِ  
وفى هذا التاريخ الغريب، وردت كتب من تلك الناحية حركت شجو  
الغريب؛ والشوق إلى لقائهم، والتوق إلى ما يرد من تلقائهم، يقتادان القلب  
بزمَام فينقاد، ويوقدان نار الوجد بين الضلوع أى إيقاد:

هى الدار لا أصحو بها علاقة لأمر لنا بين الجوانح مضمِرِ  
فجاء على أرجائها الغيث أنها منازل جيران كرام ومعشرِ  
وكان من جملة فصولها، وفروع أصولها؛ طلب التعريف والإمام،  
ببعض أحوال الشيخ الإمام، قاضى الأئمة وعلم الأعلام، عمدة أرباب المحابر  
والأقلام، ومفخر علماء الإسلام، ذى الفضائل التى استقلت رسوماها، فلم  
تحتج إلى أعمال الأعلام؛ والمحاسن التى بهرت أقمارا وشموسا، سيدى أبى  
الفضل عياض بن موسى؛ الشهير الصيت فى كل قطر، صب الله على مثواه  
من الرحمات شأيب القطر:

فهو الإمام الذى سارت مآثره فى الشرق والغرب سير الشمس والقمر  
وكم له من تآليف قد اشتهرت بكل قطر فسل تُنبك عن خبر  
فقلت: نالى بهذا الأمر يدان، ولو أيدنى كل قاص ودان؛ وماذا عسى  
أن أصف من جلاله يتهلل بشرها، وجزالة يتضوع نشرها؛ وبلاغة تبتد بلاغة  
سحبان، وبراعة تقاعس عن رتبها الشيب والشبان، وعلم أظهر غوامض  
الحقائق وأبان، وحلم أرسخ من رضوى وأبان؛ ومحاسن، ماؤها غير آسن،  
وحلى، حازت مراتب العلى، ومصنفات، مقرطات مشنفات، أعلاق لا  
تعديلها الأثمان، ولا تشد على مثلها الأيمان<sup>(١)</sup>.

على أنى لست من رجال هذا المجال، ولا من فرسان ميدان الإحسان؛  
إذ الباع قصير، والعقل بقواعد العلم غير بصير؛ والقلب حليف أشجان  
وأوصاب، والفكر أليف غُصص تجرع منها جنى حنظل أو صاب؛ لا أستطيع  
إنشاء قول، ولا أفكر إلا فى هم أو هول؛ إلى ما دهم من الفتن، التى محت  
ما بالدهر من ازديان؛ وطرق من المحن، التى يغنى عن خبرها العيان؛  
فتنوعت منها الأعداد، إلى أفراد وأزواج، وكثر الترداد، من الخطوب ذات  
الجموع والأفواج؛ وتفاقم وازداد، هول بحورها المتلاطمة الأمواج:

حملنا من الأيام ما لا نطيعه كما حمل العظم الكسير العصائب  
وعصر رجونا منه إبداء منحة فأبدى ولكن محنة ومصائب  
وما حال من قرت المصائب عيونه دموعا وجوانحه جوى، ورمته  
النوائب عن قسى النوى؛ فخلع على الكواكب كراه، وبرح به الشوق وبراه.

(١) الأيمان: جمع يمين، وهى اليد اليمنى.

وقطع ودج صبره وفراه، واعتراه من الدهر ما اعتراه، وضاعف ما به كذب  
حاسد افتراه؛ يأكل المحاسن، ويجهل بمساويه أن يحاسن؛ ويعيد الحق باطلا،  
والحالى عاطلا؛ ويقلب المنحة محنة، ويرى المصافاة إحنة؛ يخاتل مخاتلة  
الذيب، ويكدر مناهل الخلوص والتهذيب، ويقابل الحق الواضح بالتكذيب؛  
ويشتغل بما لا يعنيه، ويعرض عما يقربه إلى ربه ويزلفه ويدنيه:

لى حيلة فيمن ينم وليس للكذاب حيلة  
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتى فيه قليلة  
إلى الله المشتكى من هذا وأضرابه، ممن لم تصف موارد شرابه:

مضت أعمارنا ومضت سنونا ولم تظفر بذى ثقة يدان  
وجربنا الزمان فلم يفدنا سوى التخويف من أهل الزمان  
ولا غرو أن كان لأهل الزمان اشتباه، والله قول بعض أهل الذكاء  
والتيقظ والانتباه:

والناس مثل زمانهم حذو الحذاء على مثاله  
ورجال دهرك مثل دهر رك فى قلبه وحاله  
ولذا إذا فسد الزمان جرى الفساد على رجاله  
أستغفر الله، هذه نفثة مصدر ذى ألم، أو هفوة مغمور ساعدها طغيان  
القلم:

نذم زماناً ماله من جناية ونشكوه لو تغنى عن المرء شكواه  
ولا ذنب فينا للزمان وإنما جنينا فعوقبنا بما قد جنيناه  
هو القدر الجارى على الكره والرضا فصبراً وتسليماً لما قدر الله

ونفوسنا أولى باللوم، لو سلكننا سبيل خيار القوم؛ واقتفينا سنن  
التقوى، وتمسكنا بحبل التوفيق الأقوى:

وما دارنا إلا موات لو اننا      نفكر والأخرى هي الحيوانُ  
شرينا بها عزاً بهونٍ جهالةً      وشتان عزٌّ للفتى وهوانُ

وحق لمن علم تقلبات الدهر بأهله وتصرفاته، أن يستعمل ما بقى من  
عمره فيما يوصله إلى منازل النعيم المقيم وغرفاته:

للدهر قوس لا تزال سهامها      تصمى الأنام أصاغراً وأكابرا  
طوبى لمن هجر القبيح ولم يكن      إلا على فعل الجميل مثابرا  
جعلنا الله ممن ثابر على فعل الجميل، وبلغ من خير الدارين غاية  
التأميل.

وحين ورد على هذا الخطاب الذى تقدم، وألقى ركن الاضطراب كاد  
يتهدم أو تهدم؛ أضربت عن جوابه حيناً من الدهر، وماطلت مقتضى دينه من  
يوم إلى يوم، ومن شهر إلى شهر؛ والأرض تמיד اضطراباً واختلالاً،  
والأحوال تزيد دنفاً واعتلالاً؛ وأنا أحوم على مناهل الجواب حوماً، وأروم  
الورود فى مشاربها العذبة يوماً فيوماً؛ والأيام لا تسمح بنهله، ولا تفسح  
إليها فسحة، ولا توسعها مهلة؛ ثم وقع العزم والتصميم على جواب هذا  
السائل، راجياً من الله سبحانه أن يكون ذلك من أفضل القرب وأعظم  
الوسائل؛ ودخلت من هذا الباب بعد أن قرعت، وأخذت فى هذا الغرض  
وشرعت، وشربت من ماء التصنيف وكرعت، وبذرت فى أرض التأليف  
وزرعت، هذا مع أنى ما مهتت ولا برعت؛ ولا أتقنت لصناعة التأليف  
عملاً:

لكن قدرة مثلى غير خافية والنمل يغذر فى القدر الذى حملا  
وكثيرا ما خرجت من الشئ إلى ما يناسبه ويدانيه؛ وربما أبعدت  
النجعة، ثم وقعت الأوبة والرجعة على رغم أنف قالى ذلك وشانيه، وقربت  
بذلك كله شاسعا، كى تسهل مئونه على مُعانيه، وهصرت أفنان ألفاظه  
ومعانيه؛ ليقرب اقتطافه لجانيه؛ وسميته «بأزهار الرياض، فى أخبار عياض،  
وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض» تسمية وافقت إن شاء الله معناه،  
وناسبت منزله ومغناه؛ لأنه جمع أزهار ذات ألوان، من ورد وأقحوان؛  
وبهار؛ عرفه ذو انتشار؛ ومشور، روضه مريع ممطور، ونسرين، يفوق أرجه  
مسك دارين؛ وآس، عاطر الأنفاس؛ وشقيق، خليق بالمدح حقيق؛ ونيلوفر،  
حاز من المحاسن النصيب الأوفر؛ وأجريت جداول أنهار، من الحكايات  
لسقى هذه الأزهار؛ فأينع النوار، وتألقت الأنوار، وتفنن الناظر بين أنجاد  
وأغوار، ولم يدر وقد انتقل من أطوار إلى أطوار، وتأمل صرحا بنى على  
غير شفا جرف هار:

أضياء هدى أم ضياء نهار وشذا المحامد أم شذا الأزهار  
وقد أفصح ترجمان التراجم عن عدها وسردها، ولوح لنكتة الاختتام  
بنيلوفرها والافتتاح بوردها.

وهى هذه الترجمة:

الأولى: روضة الورد، فى أولية هذا العالم الفرد.

الثانية: روضة الأقحوان؛ فى ذكر حاله فى المنشأ والعنفوان.

الثالثة: روضة البهار، فى ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر  
من شمس النهار.

الرابعة: روضة المثور، فى بعض ماله من منظوم ومثور.

الخامسة: روضة النسرين، فى تصانيفه العديمة النظر والقيرين.

السادسة: روضة الآس، فى وفاته وما قابله الدهر الذى ليس لجرحه من آس.

السابعة: روضة الشقيق، فى جمل من فوائده، ولع من فرائده، المنظومة نظم الدر العقيق.

الثامنة: روضة النيلوفر، فى ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التى هى أعطر من المسك الأذفر.

فدونك أيها الناظر روضات أزهار، وجنات تجرى من تحتها الأنهار؛  
أبوابها ثمانية، وقطوفها دانية؛ تعطر منها نسيم الصبا بزهر الآداب، وسما إلى  
محاسنها من تعلق من التاريخ بأهداب؛ لم أسبق إلى مثلها فيما رأيت، وإن  
بعدت فيها عن المهيع المطروق ونأيت؛ والإنسان مغرم ببنيات أفكاره، وإن  
قوبل ما صدر منه بإنكاره؛ وقد أنشدت بلسان حالها، مخاطبة من رضى  
بانتسابها وانتحالها:

|                      |                      |
|----------------------|----------------------|
| سرح جفونك فى الحدا   | ئق واجن أزهار الرياض |
| من ورد أحمر أو شقا   | ئق أو بهار ذى بياض   |
| واشرب بكاسات الرفا   | ئق من عيون أو حياض   |
| وانظر مناقب ذى الحقا | ئق عالم الدنيا عياض  |

واكرع بماء التعريف زلالا، وأدر كأس التشريف حلالا؛ وارو من هذا  
النهر، واقطف ما شئت من أصناف الزهر؛ وأخطر هذه الروضة ببالك، وأدر  
إليها وجه قبورك وإقبالك؛ فمؤلفها وإن لم يكن بمصيب، ولا ممن له في  
الإجادة حظ وافر ولا نصيب، فمن ألفت فيه تحسن بإحسانه وتنال المرعى  
الخصيب:

سلام مثل عرف المسك طيبا وحسنا مثل أزهار الرياض  
على لفظ الجلالة والمعالي إمام الدين والدنيا عياض  
إذا ما قيس بالعلماء طرا غدا بحرا وأضحوا كالحياض  
وكنت حين شرعت في هذا المجموع السامى، وأطلعت على بعضه  
صاحبنا الفقيه العلامة الأصيل الحاج الرحال، أبا الحسن سيدى على بن أحمد  
الخزرجى الشامى، حفظ الله كماله، وبلغه آماله، خاطبنى بقصيدة من نظمه،  
أسماه الله، ألمّ فيها بذكر هذا الموضوع بما يقتضيه شرف خلاله، وكرم  
جلاله؛ وأشار فيه إلى نقض عزم الرحلة التى نويت إذ ذاك للمكان الشريف،  
لا حرمانا لله من مشاهدته عن قرب، فى حفظ وعافية، بمنه ويمنه. وهى  
هذه، وأنشدنيها من لفظه، وكتبها بخطه، وأرسلها إليّ، شكر الله صنيعه:

أمفتى الغرب أبدعتم طرازا نثرتم فيه أزهار الرياض  
ونظمتم عقودا من لآل لجيد حلى المآثر من عياض  
وأورقتم غصون علاه لآ سقاها ففكرتم سقى الحياض  
ونمقتم مطارف ما رأينا كطرتها سوادا فى بياض  
وناديتم عقائلها فذلت شوامسها إليكم بارتياض

وأسست من الآثار طرا  
 لك التبريز في العلياء فاقض  
 تبديتم بها بدرا وحزتم  
 نعتم بالكمال بغير عطف  
 وما وفوا بحقكم ولكن  
 بعلمكم شفيتم أرض غرب  
 ولما أن بدا منكم فـراق  
 وأنّ نجومها بالبعد يخشى  
 فأرسل شافعا خل حشاه  
 يذكركم ليالى نيرات  
 يود الطرف يجعلها اكتحالا  
 بحق الله لا تبدى دجاها  
 ولا تمهل شفاعة مستهام  
 ودم للدين والدنيا إماما  
 يعم الأرض ما لاحت بدور

قواعد لا تساوم بانتقاص  
 على علمائها ما أنت قاضى  
 خصال سباقكم دون اعتراض  
 وكلهم بذلك النعت راضى  
 يؤدي البعض من بعض افتراض  
 وكانت ذات أحشاء مراض  
 توقعت أن يؤول إلى انقراض  
 عليها من سقوط وانقضاض  
 بهذا البعد أمست فى انفضاض  
 بأنسكم تير دجى المضاض (١)  
 مكان سواده دون اغتماض  
 بغيبة بدركم بعد اتماض  
 صدوق الود فى آت وماضى  
 وبحرهدى علومك فى افتياض  
 وما فاحت أزاهر فى رياض

يكرع منه الملوك علا ونهلا، ويضرع فى الجواب فعلا لا قولاً؛ ويعيد  
 السلام التام، الزكى العام، على المجلس العلمى، ورحمة الله تعالى وبركاته.

(١) المضاض: وجع يصيب الإنسان فى العين وغيرها مما يُمضُّ.

انتهى ما كتب به صانه الله، وأضفى عليه حلل المجد.

وقد ذكرت في هذا الكتاب حكايات مختلفة، وفنون مفيدة، يزداد الناظر بها معرفة حسبما جرت بذلك عادة كثير من الأئمة في مصنفاتهم، ومجالس درسهم. وقد قال الماوردي، أفضى القضاة في كتاب آداب الدين والدنيا: القلوب تتراح إلى الفنون المختلفة؛ وذكر أن المأمون كان ينتقل في قصره من موضع إلى موضع، وينشد قول أبي العتاهية:

لا يصلح النفس إذ كانت مدبرة إلا التنقل من حال إلى حال  
وقال أبو حنيفة: الحكايات عن العلماء أحب إليّ من كثير من الفقه،  
لأنها آداب القوم. وقال الشيخ سيدنا أبو القاسم الجنيد، رضى الله عنه،  
ونفعنا ببركاته: الحكايات جند من جنود الله، يقوى الله بها أبدان المريدين.  
وقال الإمام المواق في كتابه المسمى «سند المهتدين» عن شيخه المتورى، بسنده  
إلى أبى العباس بن العريف، قال: كنت فى مجلس أستاذى أبى على  
الصدفى أقرأ عليه الحديث، فقرأ يوماً الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل يحكى  
حكايات الصالحين، فوقع فى نفسى: كيف يجيز الشيخ أن يقطع حديث  
رسول الله ﷺ، ويحكى الحكايات؟ قال: فما تم لى الخاطر حتى نظر إلى  
الشيخ شزراً، وقال: يا أحمد، الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها  
قلوب العارفين من عباده. قال: فما بقى فى جسدى شعرة إلا قطر منها  
العرق. فلما رآنى دهشت قال لى: يا أحمد أين مصداق ذلك من كتاب الله؟  
قلت: الشيخ أعلم؛ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ...﴾  
[هود] الآية. انتهى.

وهذا أوان الشروع وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل.